

199310 - حديث في فضل الرباط بعسقلان

السؤال

قرأت منذ زمن وجيز حديثا عن فضل عسقلان والرباط فيها ، والحديث هو " أول هذا الأمر نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم ملكا ورحمة ثم إمارة ورحمة ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير فعليكم بالجهاد وإن أفضل جهادكم الرباط وإن أفضل رباطكم عسقلان " . وأسئلتني هي : 1. ماهي درجة هذا الحديث ؟ 2. هل المقصود من هذا الحديث غزة ؟ لأنني قرأت أن المدينتين تاريخيا واحدة ، ودليل ذلك أن الإمام الشافعي رحمه الله أجاب حين سأل عن مسقط رأسه : تارة بغزة ، وتارة أخرى بعسقلان .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

غزة وعسقلان بلدتان كنعانيتان ، دلت الحفريات المكتشفة على أنهما كانتا مأهولتين منذ العصر الحجري الحديث . ويرجع أول ذكر عسقلان في التاريخ إلى نص فرعوني يعود إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد . أما غزة : فهي مدينة عريقة أيضا ، وقد تغير اسمها بتغير الأمم التي توالى عليها ، فأطلق عليها الكنعانيون " هزاتي " والمصريون الفراعنة " غازاتو " و " غاداتو " والعبرانيون " عزة " والآشوريون " عزاتي " . أما العرب فقد أطلقوا عليها " حمراء اليمن " و " غزة " أو " غزة هاشم " .

وتقع مدينتا غزة وعسقلان جنوب فلسطين ، وتقع غزة جنوب غرب عسقلان ، وكانت غزة منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو الصليبي تابعة لعسقلان ، وعرفت بـ " غزة عسقلان " وبين عسقلان وغزة أربعة فراسخ (حوالي 21 كم) ، وبين غزة ويافا 80 كم ، وبين يافا وعسقلان 56 كم ، ويفصل غزة وعسقلان عن بيت المقدس بلدة " بيت جبرين " وهي تبعد عن غزة أقل من مرحلتين ، وبين بيت جبرين وعسقلان 32 كم .

انظر : "الحياة العلمية في غزة وعسقلان منذ بداية العصر العباسي حتى الغزو الصليبي" (ص2-5) د/ زهير عبد الله سعيد أبو رحمة .

فيتبين مما تقدم إلى أن غزة قريبة جدا من عسقلان ، وقد كانت غزة تابعة لها منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو الصليبي ، ولذلك ذكر العلماء أن الإمام الشافعي رحمه الله ولد بغزة ، وقيل بعسقلان ، قال النووي رحمه الله في "المجموع" (8/1):
" الْمَشْهُورُ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ الشَّافِعِيَّ وُلِدَ بِغَزَّةَ ، وَقِيلَ بِعَسْقَلَانَ ، وَهُمَا مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا ، فَإِنَّهُمَا عَلَى نَحْوِ مَرَحَلَتَيْنِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ " انتهى .

راجع جواب السؤال رقم : (153652) .

ثانيا :

قال الطبراني - رحمه الله - في "المعجم الكبير" (11138) :

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ النَّضْرِ الْعَسْكَرِيُّ ، ثنا سَعِيدُ بْنُ حَفْصِ النَّفِيلِيِّ ، ثنا مُوسَى بْنُ أَعْيَنَ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، عَنْ فِطْرِ بْنِ خَلِيفَةَ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَوَّلُ هَذَا الْأَمْرِ نُبُوءَةٌ وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ يَكُونُ إِمَارَةً وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ يَتَكَادَمُونَ عَلَيْهِ تَكَادُمَ الْحُمْرِ فَعَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ جِهَادِكُمُ الرِّبَاطُ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ رِبَاطِكُمْ عَسْقَلَانُ)

وقوله " عن ابن شهاب " تصحيف ، والصواب " عن أبي شهاب " كما أورده السيوطي رحمه الله في "اللائئ المصنوعة" (1/422) وهو أبو شهاب موسى بن نافع الحنات ، وهو صدوق ، وثقه ابن معين وغيره ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه "التهذيب" (10/375) .

والذي يدل عليه أن موسى بن أعين لم يذكروا في شيوخه ابن شهاب ، فكأنه لم يلقه ، فإن بين وفاتيهما 53 سنة .
والحديث ، قال الهيثمي رحمه الله في "المجمع" (5/190) :
" رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ " .

وقال الألباني رحمه الله :

" وهذا إسناد جيد ، رجاله كلهم ثقات ؛ غير سعيد بن حفص النفيلي ، ففيه كلام يسير ، وقد وثقه ابن حبان (8/268) ، وأخرج له في "صحيحه" ثلاثة أحاديث ، والذهبي ، والعسقلاني فقال : "صدوق تغير في آخر عمره " .
انتهى من "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (803/7) .

وسعيد بن حفص النفيلي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال علي بن عثمان النفيلي : مات يوم الجمعة في رمضان سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وقال مسلمة بن قاسم : ثقة ، وقال أبو عروبة الحراني : كان قد كبر ولزم البيت وتغير في آخر عمره .
"تهذيب التهذيب" (17/4)

وقال العيني في "مغاني الأخيار" (558/3):

" صدوق ، تغير في آخر عمره " .

وقال الذهبي في "الكاشف" (1/433) : " ثقة " .

وأحمد بن النضر ثقة ، توفي سنة 290 كما في " تاريخ بغداد " (6/413) وتوفي النفيلى سنة 237 كما تقدم ، فيكون بين وفاتيهما 53 سنة ، فيخشى أن يكون ابن النضر سمع هذا الحديث من سعيد بن حفص بعد كبره واختلاطه .

ولذلك قال الشيخ عبد الرحمن اليماني رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث :

" سعيد بن حفص النفيلى، تغير في آخر عمره "

انظر : هامش "الفوائد المجموعة" (ص 431) .

وقد روى الإمام أحمد (18406) عن حذيفة : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (تَكُونُ النُّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوءَةِ ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصِئًا ، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا ، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوءَةٍ) ثُمَّ سَكَتَ .

وحسنه الألباني في "الصحيحة" (5) .

وروى الإمام أحمد (20445) عن أبي بكره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خِلَافَةُ نُبُوءَةٍ ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ) وهو حديث حسن .

فلعل ذكر عسقلان في حديث الترجمة غير محفوظ .

وقد ورد في فضل عسقلان عدة أحاديث كلها لا تصح .

راجع "الفوائد المجموعة" (ص429-432) بتعليق الشيخ اليماني .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" عَامَّةٌ مَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ فَضْلِ عَسْقَلَانَ وَالْإِسْكَندَرِيَّةِ أَوْ عَكَّةَ أَوْ قَرْوِينَ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَمَا يُوجَدُ مِنْ أَخْبَارِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ بِهِذِهِ الْأَمْكَنَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ : فَهُوَ لِأَجْلِ كَوْنِهَا كَانَتْ تُغَوَّرًا ؛ لَا لِأَجْلِ خَاصِيَّةِ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَكَوْنِ الْبُقْعَةِ تَغَوَّرًا لِلْمُسْلِمِينَ أَوْ غَيْرِ تَغَوَّرٍ : هُوَ مِنَ الصِّفَاتِ الْعَارِضَةِ لَهَا ، لَا اللَّازِمَةِ لَهَا ؛ بِمَنْزِلَةِ كَوْنِهَا دَارَ إِسْلَامٍ أَوْ دَارَ كُفْرٍ ، أَوْ دَارَ حَرْبٍ أَوْ دَارَ سَلَمٍ ، أَوْ دَارَ عِلْمٍ وَإِيمَانٍ أَوْ دَارَ جَهْلٍ وَنِفَاقٍ ؛ فَذَلِكَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ سُكَّانِهَا وَصِفَاتِهِمْ " .

انتهى من "مجموع الفتاوى" (53 / 27) .

وقال أيضا :

" وَأَمَّا " عَسْقَلَانُ " : فَإِنَّهَا كَانَتْ تَغَوَّرًا مِنْ تُغَوَّرِ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ صَالِحُو الْمُسْلِمِينَ يُقِيمُونَ بِهَا لِأَجْلِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهَكَذَا سَائِرُ الْبِقَاعِ الَّتِي مِثْلُ هَذَا الْجَنَسِ ، مِثْلُ " جَبَلِ لُبْنَانَ " و " الْإِسْكَندَرِيَّةِ " وَمِثْلُ " عِبَادَانَ " وَنَحْوِهَا بِأَرْضِ الْعِرَاقِ ، وَمِثْلُ " قَرْوِينَ " وَنَحْوِهَا مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي كَانَتْ تُغَوَّرًا ؛ فَهَذِهِ كَانَ الصَّالِحُونَ يَقْصِدُونَهَا ؛ لِأَجْلِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " انتهى من "مجموع الفتاوى" (141 / 27) .

وبتقدير صحة الحديث ؛ فإنه يدل على فضل الرباط بعسقلان مطلقا ، وكذا غزة ؛ لأنها كانت تابعة لها كما تقدم ، وكأن في ذلك إشارة إلى أنها تبقى ثغرا ، زمانا طويلا .
والله تعالى أعلم .